خطبة

الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر

نفعنا اللّه به في الدارين



خطبة

الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر

نفعنا الله به في الدارين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في الحث على قراءة هذه الخطبة

قال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط رضى الله عنه ونفعنا به [1]:

الزموا هذه (الخطبة) وشِيعُوها _ يعني خطبة الحبيب طاهر بن حسين _ وهي موهبة من الله تعالى لأهل الزمان ونرجو أن تكون هي الرشيد المشار إليه فيها بقوله: (هل من رشيد) [2] إذا شيعت يحصل بها النفع الكبير لأنه مات وهو متعلق بصلاح الجهة .

---

[1] من كتاب (مجموع مواعظ وكلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط)

[2] وردت هذه العبارة في الخطبة ص ٣٠ .

وقال رضي الله عنه : وأنتم كل من بغانا أفرح به يـجي عندي يأتي معه بكرّاس من (العمدة) و (خطبة الحبيب طاهر بن حسين) خلوا نحن نتكاثر ونكثّر سواد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمَن كثَّر سواد قوم فهو منهم ويصير المجلس رُوحاً وإلا صار جسداً بلا روح وخلوا الكتاب دستوراً لكم كما القبائل شالِّين السلاح حتى العميان وأنتم سلاحكم العلم .

وقال رضي الله عنه : مثل الكتب الكبار مثل (الإحياء) كمثل السوق يبعد على الطالب أخذ المطلوب في ساعة ومثل المختصرة كـ(خطبة سيدنا الحبيب طاهر بن حسين) كمثل المخزن في السوق فيه

جميع المطلوب يحصل لك في ساعة وحصِّلوا منها نسخاً كثيرة وتشبَّهُوا بكلام سيدنا العيدروس في (الإحياء): مَن حصَّل أربعين نسخة من (الإحياء) إلى آخر ما قال وحصِّلوا أربعين نسخة من (الخطبة) وفضل الله واسع إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا ومثل (الإحياء) بغا الّا فحول ما هو لكل الناس و(الخطبة لكل الناس).

وقال رضي الله عنه : (خطبة الحبيب طاهر بن حسين) رَمَت الغرض موهبة مِن الله تعالى وخصوصية لأهل الزمان شِيعُوها واعقدوا لها مجلساً في الشهر يحضرونه كل الناس خلاء وبلاد وطرّبوا في الأسواق وأعلِمُوا أهل الخلوات بذلك وتحبّبوا إلى الله بهذا

المجلس حتى يرسخ ... ونرجو أنّ روحه حاضرة عند قراءتها واحمدوا الله على ذلك يخاطبكم بالنصيحة من ضريحه . أو كما قال ، انتهى .

وقال الحبيب محمد بن هادي بن حسن السقاف رضي الله عنه ونفعنا به [1]:

واجعلوا لكم قراءة في خطبة الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر وافشوها بينكم واقرؤوها في بيوتكم والمساجد كل مَن عنده مسجد يصلي فيه يقرأ فيها ولو

---

[1] في كلامه المسمَّى (تحفة الأشراف) جمع تلميذه السيد أحمد بن علوي بن سقاف الجفري رحمه الله تعالى.

قليلا ، وإذا أفشيتم القراءة في كل مكان سيردّ الله وادينا كما كان في الزمن السابق وسيُحيِي ما مات ويَرُدّ ما فات ،أو كما قال ، انتهى .

وهذا أَوَان الشروع في المقصود ..

خطبة جليلة

و هي لسيدنا الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمدًا نَسْتَجْلِبُ به الرضا ، ونَسْتَدفِعُ به سُوءَ القَضاء ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً يُغْفَرُ بها ما تأخَّرَ وما مضى ، وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه المُرتضى ، صلى الله وسلَّمَ عليه وعلى آلِهِ وصحبِهِ المُقْتَفِينَ سبيلَه في كلِّ إحجامٍ وإمضاء.

أما بعد :

فاعلموا أيها الناس : أَنَّ الأصلَ والأساس ، هو معرفةُ المعبودِ قبلَ العبادة ؛ وذلك حقيقةُ معنى الشهادة.

فَمَن شَهِدَ لله بالقِدَمِ والوجود ، وأَنَّهُ الخالقُ الرازقُ لكلِّ موجود ، وأَنَّه بُدِئَ منه كلُّ شيءٍ وإليه يَعُود ، وأَنَّه منعوتٌ بغاياتِ نُعُوتِ الجلالِ والجمال ، مُنَـزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ أو ما ليسَ بكمال ، مُبايِنٌ لكلِّ ما يَسْنَحُ في خيالٍ أو يَخْطُرُ ببال .

وشَهِدَ أَنَّه أرسلَ سيدَنا محمدًا صلى الله عليه وآلِهِ وسلَّمَ بِدِينِ الإسلامِ إلى كافةِ الأنام ، وأَنَّه بلَّغَ الرسالةَ

وبيَّنَ الأحكام ، ومَهَّدَ الأصولَ والفروعَ على أحسنِ نظام ؛ فقد اتَّصَفَ[1] بخالصِ التوحيد ، وانتظمَ في سِلكِ الْمُوحِّدِينَ من العبيد ، ولقد أسَّسَ بُنيَانَه على التقوى ، الْمُنجِيَةِ لمن تمسَّكَ بها من كلِّ بلوى .

فَأُوصِيكُم عبادَ اللهِ وإيايَّ بتقوى الله ؛ فإنَّها الجوازُ إلى دَرَجِ النعيم ، والمَجَازُ عن دَرْكِ الجحيم ، فهي كلمةٌ لحدودِ الدِّينِ جامعة ، ووصيةٌ لِمَن تمسَّكَ بها نافعة ، أَلا وإنَّها الامتثالُ لِمَا به اللهُ أَمَر ، والانزجارُ لكلِّ ما عنه زَجَر، فاعتصموا _ رحِمَكمُ اللهُ _ بِحَبْلِها ، واسلُكوا واضحاتِ سُبْلِها.

---

[1] جواب الشرط للفعل (شَهِدَ).

وأَحُثّكم على الصلاةِ ؛ فإنَّها بابُ المِلَّة ، ومُعْظَمُ النِّحلَة ، فالمُحافِظُ عليها فائز ، ولجميعِ خيراتِ الدنيا والأُخرى حائز ، والتاركُ لها كَسَلا ، المُتَهَاوِنُ بها ثِقَلا يُطرَدُ طردا ، ويُقتَلُ حدّا ، بل قالَ بِكُفْرِهِ كثيرٌ من الصحابةِ العظماء ، وأفتى به جمعٌ مِن العلماء ، وأما تاركُها جُحودا ، فلا شَكَّ في كونِهِ للنارِ وَقُودا ، إذ هو كافرٌ بالإجماع ، ملعونٌ بلا نِزاع ، يُخَلَّدُ في طبقاتِ النِّيران ، مَعَ فرعونَ وهامان . ثُمَّ إنَّ لها كثيرا من الأركانِ والشروط ، والقبولُ والصحةُ بكلِّها منوط ؛ فالسعيدُ مَن قامَ بشروطِها وأركانِها ، وبالَغَ في تكميلِها

بإحسانِها ، والمحرومُ من حُرِمَ الإحسانَ ، وأخَلَّ ببعضِ الشروطِ والأركان .

ويَنْبَغِي الاحتياطُ والتأنِّي لأَوقاتِ الصلاة ، حتى يَتَّضِحَ الوقتُ بلا تردُّدٍ واشتباه ، لاسِيَما الصبحُ فأوّلُ وقتِهِ فِيهِ خَفَاءٌ لا يُنْكَر ، يَعْسُرُ الوقوفُ على أَوَّلِهِ بل يُتَعَذَّر ، ومَعَ السَّحابِ والمطر ، يَحتاجُ إلى التَّأَنِّي أكثر . فلا يَسْتَخِفَّنَّكُمُ الشيطان ، لِيُوقِعَكُمْ في البُطلان ؛ فإنَّ صِحَّةَ الصلاةِ موقوفَةٌ على الوضوحِ والبيان ، واليقينِ والاطمئنان، وقد وَرَدَ عن سيدِ الأنام ، عليه الصلاةُ والسلام ، ما يُشَمُّ منه خروجُ التاركِ للصلاةِ في الجماعةِ

عن الإسلام[1] ؛ إذ وَصَفَ التاركينَ لها بالنِّفاق ، وتَوَعَّدَهُم بالإحراق .

---

[1]) أي يُعلَم منه خروجُ التاركِ للصلاةِ في الجماعةِ عن الإسلام ، فقد أخرجَ الطبراني وأحمد : (الجفاءُ كلُّ الجفاءِ والكفرُ والنفاقُ مَن سَمِع منادي الله ينادي إلى الصلاة فلا يُجِبْه) ففي هذا تغليظٌ شديدٌ في تَرْكِ الجماعة ، ولهذا عبَّرَ رضي الله عنه هنا بـ (ما يُشَمُّ منه خروجُ التارك للجماعة عن الإسلام) لِكَون الشم دال على الأثر بخلاف الذوق فعبَّرَ به هنا لعدم صراحة هذه الأدلة بكفره بخلافه في تارك الصلاة رأسا فإنَّ صريحَ الأحاديث دالٌ على كُفرِه وبه قال جماعة ... فأما كفر تارك الجماعة فلم يقل به أحد إذ في الحديث دلالة على أنَّ المنافقين يتخلفون عنها بسبب نفاقهم تهاونا منهم بها لا لكونهم استحقوا الإحراق لكفرهم بتركها _أي الجماعة_ ولذا اختلف الأئمة في كونها فرض عين في الفرائض الخمس أو أنها فرض كفاية [كما هو] المعتمد من مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وذهب بعضهم كمالك وأبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي إلى أنها سُنَّة. اهـ شرح الخطبة للشيخ عبدالله بن أحمد باسودان رحمه الله تعالى بتصرف.

وأَحُثّكُمْ على الصيامِ فإنَّهُ جُنَّةٌ من العذاب ، وسبيلٌ إلى الثواب ، لا يُـحَدُّ أَجْرُهُ بِمِقْدَار ، ولا يَعْلَمُ ثوابَهُ إلا العزيزُ الغفار ؛ كما وَرَدَتْ بِهِ الأخبار ، فإذا كانَ يومُ صَومِ أَحَدِكُمْ فَلْيَصُنْهُ عمَّا يَشينُه ، وليَعْمُرْهُ بما يُكَمِّلُهُ ويَزينُه .

وعلى أَداءِ الزكاةِ ؛ فإنَّها حقٌّ في أموالِكُم معلوم ، وفرضٌ في دِيْنِكُمْ محتوم ، تزكو بأدائِها الأموال ، وتَنْدَفِعُ بها عنها الأهوال ، ومَنْعُهَا مُوجِبٌ لإِهلاكِها ، مُعذِّبٌ لِـمُلاَّكِها ، يُطَوَّقُونَها يومَ القيامةِ حَيَّة ، وتُكوى بها جِباهُهُم وجُنُوبُهُم كَيَّةً بعدَ كَيَّة.

وعلى حجِّ البيتِ ؛ فإنَّه يَجْلِبُ الوَفر[1] ، ويَسْلِبُ الفقر، وقد أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ إبراهيم ، أَنْ يُؤَذِّنَ بالدعوةِ إلى بيتِهِ الكريم ، فَلَبُّوا _ رحِمَكُمُ اللهُ _ سِراعا ، وبادِرُوا بِهِ قِطَاعا، هل تَنتظرونَ إلا فِتَنًا فِظَاعا ، أو فَقْرًا مَنَّاعَا ، أو مَوتًا فَجَّاعَا، على أَنَّهُ وَرَدَ في السُّـنَّةِ السَنِيَّة : أَنَّ تارِكَ الحجِّ بعدَ الوُجُوبِ يَمُوتُ على اليَهُودِيَّةِ أو النَصرَانِيَّة.

وأَحُثُّكُم على تِلاوةِ القرآن ، فَأَحْسِنُوهَا أَيُّها الإخوان ، فالقرآنُ أَوْلَىْ شَيءٍ بِالإِحسان ؛ لأَنَّهُ كلامُ المَلِكِ الدَيَّان، فَجَوِّدُوهُ بِمَا وُضِعَ لِذلِكَ مِنْ عِلْمِ التجويد ، وَزَيِّـنُوهُ بِتَحْسِينِ الصَّوتِ والهَيئَةِ في التردِيد ،

[1] هكذا في شرح الخطبة لباسودان المخطوط، وفي المطبوعة بلفظ (الوِقْر).

وأَئِمَّةُ الصلاةِ أَحَقُّ بِمَزِيدِ الإِحْكَامِ والتَّحسِين ؛ لأَنَّهُمْ ضَامِنُونَ كما وَرَدَ عن الهادِي الأَمِين ، فَكُلُّ ذلِكَ داخلٌ تَحتَ اللُّزُومِ والوجوب، وحقٌّ مُتَعَيَّنٌ لِكَلامِ الربِّ عَلَى المربوب.

واحذَرُوا اللَّحنَ في الإِعراب ، وإخراجَ بعضِ الألفاظِ عَن شَاكِلَةِ الصَّواب ، فإنَّ ذلِكَ مُنكَرٌ مُطلَقًا وزيادةٌ في المساجِد ، كما ذَكَرَهُ في (الإِحياء) إِمَامُنَا أَبوحَامِد .

وكونوا من خِيارِ القُرَّاءِ والحَمَلَة ، ولا تَغتَرُّوا بِقِراءَةِ مَن تَسْمَعُونَهُ مِنَ المُقَصِّرِينَ الجَهَلَة ، فما هكذا قَرَأَهُ السَّلَف وإنما حَصَلَ التَسَاهُلُ مِنَ المُتأَخِّرِينَ مِنَ

الخَلَف ، وقَدْ قَسَّمَ الحقُّ مَن أَوْرَثَهُ الكِتَاب ، إلى ظالمٍ ومُقتَصِدٍ وسابِقٍ أوَّاب[1]، فجَعَلَهُم ثلاثةَ أحزاب ، وشَمِلَ ما نحنُ فيه ظاهرُ الخِطاب ، لأَنَّ لِظَاهِرِ كَلامِ اللهِ كثيرًا مِن الأحكام ، فَيَنقَسِمُ الناسُ في القيامِ بها على هذا الانقسام ، فارتَفِعُوا _رَحِمَكُم اللهُ_ عن حَضِيضِ النُّقصَان ، واطلُبُوا الكمالَ في كلِّ شان.

وعلى صَدَقَةِ السِّر ؛ فإِنَّها تُكَفِّرُ الخطايا ، وتَدفَعُ بَغَتَاتِ المنايا ، وكَم حَثَّ اللهُ على الصدقةِ في كِتابِهِ المَجيد ، ورغَّبَ فيها بما ليس فَوقَهُ مَزِيد ، فتأمَّلُوا

[1] قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾

بالخصوصِ سورةَ (الحديد) ، تَجِدُوا فيها ما يَحْمِلُكُم على ذلك الفعلِ الحميد ، ويُسَهِّلُ لكم منه كُلَّ شديد.

وعلى صِلةِ الرحِمِ ؛ فإنَّها مَثْرَاةٌ في الأموال ، مَنْسَاةٌ في الآجال ، دالةٌ على التَحَلِّي بِمَكارِمِ الخِلال ، وأَمَارةٌ قاطِعَةٌ بِحُسنِ المآل ، فاحذروا القطيعة ، فإنَّها فاحشةٌ فظيعة ، عذابُها أليم ، ومَرعَاها وَخِيم ، القاطعُ ملعونٌ بِنَصِّ القرآن ، القاطعُ ضعيفُ الإِيمان ، القاطعُ لا يَجِدُ رائحةَ الجِنَان ، القاطعُ يَتَعَدَّى شُؤْمُهُ إلى الجِيْران ، فَصِلُوا أرحامَكم أَيُّها الإِخوان ؛ فإنَّ الرحِمَ معلَّقَةٌ بقائمةٍ من قَوَائِمِ عرشِ الرحمن ، تَدعُو على قاطِعِها بالحِرمان.

واجتَنِبُوا الكبائر ، واحذروا الجَرائر ؛ فإنَّ المعاصيَ دليلُ الخُسر ، وبَرِيدُ الكُفر ، ومَن عصى اللهَ فقد تعرَّضَ لِمُحَارَبَتِه ، وانْتَدَبَ لِمُغَالَبَتِه ، ومَن ذا لَهُ يَدان ، بِمُحَارَبةِ المَلِكِ الديَّان .

ومِمَّا يُوجِبُ المَحْقَ في الأموالِ والنُّفُوس ، والعذابَ في النِّيرانِ والرُّمُوس : أَخْذُ أموالِ الناسِ بالغَصْبِ والسَرِقَةِ والمُكُوس ، وبِغَبْنِ المُستَرسِلِ المَبخُوس ، فهذا كلُّهُ من أكلِ أموالِ الناسِ بالباطل ، وفاعِلُهُ ظالمٌ آثمٌ خاطِل . .

ويَخْتَصُّ المَكَّاسُ بجُملةٍ مِنَ المَذَام ، وَرَدَتْ فيهِ عنهُ عليهِ الصلاةُ والسلام ، فاجتَنِبُوا _ رحِمَكُمُ اللهُ _

كلَّ محظورٍ حرام ، ولا تَحقِرُوا شيئًا منها ؛ فقد يكونُ سببَ الغَضَبِ والانتقام .

ومن جُملَةِ الذُّنوب : لُبسُ الحريرِ للرِّجال ؛ إذ هُوَ خُنُوثَةٌ لا تَلِيقُ بشَهَامَتِهِمْ بِحَال ، فمَنْ لَبِسَهُ فقد ظَلَمَ وأَسَاء، وتَشَبَّهَ بالمخَنَّثِينَ والنِّسَاء ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وسلَّم : (مَنْ لَبِسَهُ في الدنيا لم يَلْبَسْهُ في الآخِرة)[1] فَأَخَذَ بعضُ العلماءِ مِن هذِهِ العبارةِ الفاخرة،

[1] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : ((لا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ ، فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ)) رواه البخاري ومسلم والنسائي.

أنَّ لابِسَهُ لا يكونُ إلا في أهلِ السعير ، لأن اللهَ تعالى يقولُ في وصفِ أهلِ الجَنَّةِ : ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

ومِثلُ الحريرِ في التحريمِ على الرجالِ : الفضةُ والذهب[1] ، فمَن تَحَلَّى بِشَيءٍ منهما فإنَّما تَحَلَّى بنارٍ ذاتِ لَهَب ، فلْيَتَّقِ المؤمِنُ هذه الحِليةَ واللِباس ؛ فإنما يفعلُ ذلكَ مَن لا خَلاقَ له مِنَ الناس.

ومِن جُملَتِهَا : كَشْفُ العَوْرات ، وقد فَشَا فِعلُها في جميعِ الجِهات ، فسَتْرُ العورةِ واجبٌ محتوم ، وكاشِفُها

---

[1] لا يحل منهما للرجال إلا الخاتَم من الفضة ما لم يُعَدّ سَرَفا ، وجزم الشيخ ابن حجر بحرمة تَعَدُّدِه ، وله أيضا تحلية السلاح بشرطه .اهـ شرح الخطبة للشيخ عبدالله باسودان رحمه الله تعالى.

وناظِرُها مأثوم ، وقد أمَرَ اللهُ بِغَضِّ البصرِ عنِ العَوْرات ، فقال تعالى في سورةِ (النورِ) : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾

وجميعُ بَدَنِ المرأةِ عَورة ، فيَحرُمُ النظرُ إليها وإِنْ كانتْ قبيحةَ الصورة ، فالنظرةُ إليها سهمٌ مسموم ، مِن سِهامِ إبليسَ المرجوم ؛ لأنَّها تدعو إلى الفِكْر ، والفِكرُ يدعو إلى الزِّنا ، والمحتاطُ مَن حَسَمَ المادةَ مِن هُنا ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم : (ما تَركتُ بعدِي فتنةً

أضرَّ على الرجالِ مِن النِّساء)[1] ، فَوَجَبَ على المؤمِنِينَ اتِّقاءُ هذه البَأْسَاء ، بالبُعْدِ عن مَظَانِّ الأسبابِ الداعيةِ إلى مَا يُخشَى؛ فإنَّ الخَلوَةَ والنَّظَرَ والاستِماعَ داعياتٌ إلى الفحشاء، فتَجِبُ الصيانةُ والاحتجاب ، عن جميعِ هذه الأسباب، قال اللهُ تعالى في سورةِ (الأحزاب) : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ﴾.

فلا يجوزُ حَجْمُ الرجالِ النساءَ ولا العَكس ، بل يَحجُمُ الجِنسُ منهما الجِنس ؛ حَذَرًا مما يتولَّدُ مِن ضِدِّ

---

[1] عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: ((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ)) رواه البخاري ومسلم .

ذلك مِن الرِّجس ، فيَجِبُ على الكفايةِ تَعَلُّمُ بَعضِهِنَّ الحِجامة ؛ لأنَّ ذلك تَعَيَّنَ طريقًا للسَّلامة .

وعورةُ الحُرَّةِ في الصلاةِ جميعُ البَدَنِ ما سِوى الوجهِ والكَفَّين ، وعورةُ الرَّجُلِ مُطْلَقًا والأَمَةِ في الصلاةِ ما بين السُّرَّةِ والرُّكبَتَين .

وتنظُرُ المرأةُ مِن المرأَةِ ، والرَّجُلُ مِن الرَّجُلِ ما سِوى ذلك ، والـمَحْرَمُ مَعَ مَحْرَمِهِ كذلك ، والمُتَعَدِّي لِحُدُودِ اللهِ هالِك ، فلا تَتَعَدَّوُا الحُدُود ، وتَوَدَّدُوا بالطاعةِ إلى البَرِّ الوَدُود.

ولا تَقتُلُوا النَّفْسَ التي حرَّمَ اللهُ إلا بالحَقِّ ، والقتلُ من المُوبِقات ، المُحْبِطاتِ للحَسَنات ، الموجباتِ

للانتقامِ سريعا ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ ، فمَنْ أعظَمُ مِن هذا جُرما، ومَن أخسَرُ منه قَلبًا وجِسما ؟ . وأزجَرُ مِن ذلك ما حكاهُ اللهُ بعدَ حِكايةِ الحُكمِ تَتْمِيما ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ حتى أَخَذَ بعضُ العلماءِ مِن هذهِ الآيةِ أنه لا تُقبَلُ له توبَة ، وأنَّ توبَتَهُ عن اللهِ محجوبة ، فإيَّاكُمْ أن يُلِمَّ أحَدُكُم بذلِكَ إلْماما ؛ فإنَّ المرءَ في فُسحَةٍ مِن أَمرِهِ ما لَمْ يُصِبْ دَمًا حراما.

وحُكمُ اللهِ في قَتلِ العَمْدِ : القِصَاص ، النَّفْسُ بالنَّفْسِ ليسَ له عن ذلك مَنَاص ، إلا أنْ يَعفُوَ وَرَثةُ القتيل ، مجَّانًا أو على الدِّيَةِ أو على مالٍ كثيرٍ أو قليل .

ودِيَةُ العَمدِ مئةٌ مِن الإبِلِ كَوَامِل : ثلاثون حِقَّةً[1] وثلاثون جَذَعَةً[2] وأربعون خَلِفةً[3] حَوامل ، مُعَجَّلَةً مُسَلَّمةً مِن مالِ الذي قَتَل ، معَ عِتقِ رقَبَةٍ مؤمنةٍ سليمةٍ مِن كلِّ عيبٍ يُخِلُّ بالعمل .

---

[1] وهي ما تمّ لها ثلاث سنين، سميت بذلك لأنها آن لها أن تركب ويطرقها الفحل.

[2] وهي ما تمّ لها أربع سنين، سميت بذلك لأنها أجذعت مقدمة أسنانها .

[3] بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام وبالفاء أي : حاملا .

ودِيَةُ الخطأِ وشِبْهِ العمدِ مئةٌ مِن الإِبِلِ كامِلَة ، مُؤَجَّلَةٌ في ثلاثِ سِنِينَ على العاقِلَة ، مُثَلَّثَةٌ في شِبهِ العمد، مُخَمَّسَةٌ فيما ليسَ بِقَصد ، وعِتقُ الرقَبَةِ عليهما محتوم، والمُتَهاوِنُ بأحكامِ اللهِ خاسرٌ ومحروم .

ويجِبُ القِصَاصُ في الجِراحاتِ وقَطعِ الأطراف ، إذا أمكَنَ استيفاؤُها بلا حَيْفٍ وإِجْنَاف ، وإلا فيجِبُ فيها الحُكُومَة ؛ وهي جزءٌ مِن الدِّيةِ بِنِسبةٍ معلومة .

هذا ومِنَ الجرائمِ العظيمة ، والفواحِشِ الوَخِيمة : التَّقَاتُلُ بينَ القبائلِ والتَّغَاوُر ، والتقاطعُ والتدابرُ والتنافر ، وهذه مُهلِكَاتٌ رَدِيَّة ، وضلالاتٌ شَيطانِيَّة ، وعاداتٌ جاهِلية ، قد نَهَى عن جميعِها الشرع ، وزجَرَ

عنها بِأَبلَغِ الزَجْرِ والرَّدْع ، لِمَا فيها مِن هلاكِ الأموالِ والأحوالِ والأديان ، ودوامِ الفتنِ والهمومِ والأحزان ، وبَيَّنَ الأحكامَ وأقامَ الحدود ؛ لِيَنزَجِرَ كلُّ ماردٍ مطرود، وتُضحِيَ سُبُلُ الفسادِ كلُّها مسدُودَة ، ويتيَسَّرَ سلوكُ الطُّرُقِ المحمودة ، فما لِهَؤلاءِ القومِ لا يَكادُون يَفقَهُون حدِيثا ، يَسعَونَ إلى طُرُقِ الفسادِ سَعيًا حثيثا ، أمَا يَتَّعِظُونَ بما يُلاقُونَ مِن المِحَنِ والأخواف ، والتفرُّقِ والاختلاف ؟ أمَا يعتَبِرونَ بما تولَّدَ مِن ذلكَ مِن دوامِ الفتن ، المُستَغرِقَةِ لجميعِ العُمْرِ والزَّمَن ؟ ففي ذلكَ ما يُوجِبُ الانزجارَ ، لأولي الأبصارِ والاعتبار ، معَ ما فيها في الدنيا من الخَسَارِ والبَوَار ، والخِزْيِ والعَار، وفي

الآخرةِ مِن النَّكَالِ والنار ، واللعنةِ وسوءِ الدار ، فَهَل مِن رشيدٍ يَحسِمُ مادَّةَ هذا الشر ، ويسعى في إزالةِ هذا المُنكَر ، يَصُدُّهُمْ عن هذا الدَّيْدَنِ المرذُول ، ويَرُدُّ الأحكامَ إلى اللهِ والرسول ، فَيُمِيتُ بِدعةً قبيحة ، ويُحيِــيْ سُنَّةً صحيحة .

وأقبحُ مِن هذهِ وأشنع ، وأردى منها وأبشع : التَّحَاكُمُ إلى الطاغوت ، والترافُعُ إلى كلِّ جاهلٍ مَمقُوت فلا جَرَمَ أَنَّ هؤلاءِ قومٌ لا يفقهون ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ أليسَ اللهُ سبحانَه وتعالى يقول : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فكيف يَستبدِلُونَ الأدنى بالذي هوَ خير،

ويُؤثِرُونَ القَهْقَرى في السَّيْر ؟ إنْ هيَ إلا مَكِيْدَةٌ كادَهُم الشيطانُ بها تَبعِيدا ، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ وقالَ سبحانَه وتعالى تِبيانًا وتعليما ، مخاطِبًا لِنَبيِّهِ الذي ما زالَ بالمؤمنينَ رحيما: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ وقال أيضا ولا شَيءَ أَصْدَقُ مِن قِيلِه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ وقال تعالى وأحسَنُ

الحديثِ ما قال : ﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ ﴾ فهذا كلامُ اللهِ العليمِ الحكيم ، يَهدِي إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم ، ويَزجُرُ عن هذا المسلَكِ الذَّمِيم، بل هو حاكِمٌ بِنَفْيِ الإِيمانِ عَمَّن يختارُ هذا التحكيمَ الوخيم ، فاحذروا ـ رحِمَكم اللهُ ـ مخالفةَ الشرعِ المَصُون ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾

وحِفظُ اللسانِ واجبٌ عن كلِّ محذور ؛ إذ لا يَكُبُّ الناسَ في النارِ إلا حصائدُ ألسِنَتِهِم كما هو في الحديثِ

مشهور[1] ؛ وذلكَ مِثلُ الغِيبَةِ والنَّميمةِ والكذِبِ والزور، والقَذْفِ والشَّتْمِ والسَّبِّ واللعنِ وغيرِها مما هوَ في (الإحياءِ) مذكور .

ومِن أقبَحِهَا في الذمِّ والجُرْم : التشجيعُ على الظُّلم كلَمْزِ بعضِ الجَهَلَةِ لبعضِ حَمَلَةِ السِّلاح ، يُجَرِّئُهُ ويُغْرِيهِ على قَتْلِ مَن لا جِنَايةَ عِندَهُ ولا جُنَاح ، وهذا مِن أعظمِ آفاتِ اللسان ، فيكونُ شريكًا في دمِ ذلكَ الإنسان ، وكاللِّسانِ في كلِّ ذلكَ القَلَم ، إذ هو أحَدُ

---

[1] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أنؤاخَذ بكل ما نتكلم به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : ((ثكلتك أمُّك يا معاذ ابن جبل ، وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخِرِهم في جهنَّمَ إلا حصائدُ ألسِنَتِهِم)) أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجة .

اللِّسَانَيْنِ بلا جَرَم ، بل ضَرَرُهُ أعظمُ وأدْوَم ، فليَصُنِ الإنسانُ قَلَمَهُ عن كتابةِ الحِيَلِ والمُخادَعَات ، ومُنكَرَاتِ حادِثاتِ المُعامَلات ، وكذلكَ الوصايا والنُّذُورُ ، التي تكرَّرَ وقوعُهَا في هذه العُصُور ، المُشتَمِلةُ على الحِرمانِ والضِّرَار ، المُبَايِنَةُ لما يفعَلُهُ الصالحونَ الأخيار ، الشاهِدَةُ على فاعِلِها وحاضِرِها بِقُبْحِ الإعلانِ والإسرَار ، وعَدَمِ اتِّقَاءِ العارِ والنار.

واعلَمُوا : أنَّ القَذْفَ مِن الكبائرِ العظيمة ، والجرائمِ الذميمة ، والأقوالِ المَشؤُومَةِ الوخيمة ، فلا يَصدُرُ إلا مِن خبيثِ الطَّوِيَّة ، سَيِّءِ الظَّنِّ بالبَرِيَّة ، بَعِيدٍ عن وصفِ أهلِ الإيمان ؛ فإنَّ المؤمِنَ ليسَ بالطَّعَّانِ ولا

باللَّعَّان ، بل القاذِفُ يقولُ ما ليسَ بهِ عَلِيم ، يَحسَبُهُ هَيِّنًا

وهُوَ عندَ اللهِ عظيم ، قد لعَنَهُ اللهُ في مُحكَمِ الكتاب ،

وتوَعَّدَهُ بألِيمِ العِقَاب ، فاتقوا _ رحِمَكمُ اللهُ _ ما

يُسخِطُ الربَّ ، واجتَنِبُوا القَذْفَ واللَّعنَ والسَّب .

وحُكمُ القاذِفِ إذا لم يأتِ بأربعةٍ مِن الشهود ، أَنْ

يُحَدَّ بالحدِّ المحدُود ، وذلكَ أَنْ يُجلَدَ الحُرُّ ثمانين ، كما

أوضَحَهُ الكتابُ المبين . والعَبْدُ يُجلَدُ أربعين ، كما صَحَّ

عن سيِّدِ المرسلين ، ومَنْ قَذَفَ زوجَتَهُ بالزِّنا فالحَدُّ عليهِ

كما ذُكِرَ هَهُنا ، لكنَّهُ يَسقُطُ عنهُ باللِّعان ؛ أَنْ يَشْهَدَ أَرْبَعَ

شَهَادَاتٍ كما في القرآن .

وإياكُم والاستسقاءَ بالأنواء ؛ فإنَّها مِن الأدواء ، وقد عَمَّ بها البَلوَى ، وذلكَ كَأَنْ يَقُولَ : مُطِرنَا بنَجمِ السِّمَاك أو العُوَّا ، فهذِهِ مِن مقالاتِ ذَوِي الأهوَاء ؛ إذ لا يقولُ ذلك ذو تَقوَى ، بل المتَّقِي يَعتَرِفُ لله بِنِعْمَتِه ، ويقولُ: مُطِرْنَا بِفَضلِ اللهِ وَرَحمَتِه ، فَيُضِيفُ الأشياءَ إلى ربِّه؛ كما هو مُعتَقَدُهُ بِقَلبِه .

وأُحَذِّركُم الحَلِفَ باللهِ في جميعِ شَأْنِكُم ، ولا تَجعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمانِكُم ، وأما الحَلِفُ بالآباءِ والجدود ، وبِكُلِّ مخلوقٍ وإِنْ عَظُمَ فَغَيْرُ محمُود ، ويَختَلِفُ الحُكمُ فيه باختلافِ القُصُود ، فبَعضُ صُوَرِهِ قادحٌ في التَّوحِيد ، وما دونَ ذلكَ فمكروهٌ للنَّهيِ

الشديد ، وأشدُّ من ذلِكَ الحَلِفُ بالأمانَة ، فالمحتاطُ مَن كَفَّ عن كلِّ ذلكَ لِسَانَه .

ومِن المُهِمِّ الاحتياطُ والتَثَبُّتُ في رُؤيَةِ الأَهِلَّة ؛ لأنَّها مواقيتُ لشَرَائِعِ المِلَّة ، وقد عمَّ الابتلاءُ فيها بِشِدَّةِ الفحصِ والتَنقِيب ، وتَداعَى الأمرُ حتى انتهى الحالُ إلى ظهورِ شيءٍ عجيب ، يَمجُّهُ الطَّبْع ، ولا يَقْبَلُهُ الشَّرْع وإنَّما نَشَأَ ذلكَ مِنَ التساهُلِ في قَبُولِ كلِّ مَردُود ، لا يُعَدُّ في المَرضِيِّين مِنَ الشُّهُود ، حتى تَوَغَّلُوا في التقدِيم ، وبَايَنُوا سائرَ الأقاليم . والنصيحةُ مِنَ الدِّين ، والذِّكرَى تَنفَعُ المؤمِنين ، فَيَنبَغِي أَنْ يُنْتَدَبَ للرُّؤيَةِ ثِقَاتٌ أَجِلَّة ، يُؤَدُّونَهَا للهِ لا لِـحَظٍّ ولا عِلَّة ، ولا يَتَعَرَّضُونَ لَهَا إذا

قَطَعَتْ باستِحَالَتِهَا الأَدِلَّة ؛ لأَنَّ التَّصدِّيَ لها معَ الاستحالَةِ عبَثٌ في الجُملَة .

ولا تَقرَبُوا الزِّنا ؛ فإِنَّهُ الفاحِشَةُ بِنَصِّ الكِتَاب ، والفضيحةُ يومَ الحِسَاب ، وَلَـمَّا كَبُرَ مَقتًا وَسَاءَ سَبِيلا ، جَعَلَ اللهُ عِقَابَهُ في الدنيا وَبِيلا ، المُحصَنُ يُرجَمُ حتى يموتَ كما أَوْضَحَتْهُ السُنَّة ، وغَيْرُهُ يُجْلَدُ مِئةً ويُغَرَّبُ سَنَة ، ولَعَذَابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقَى ، وأحرَى أَنْ يُتَّـقَى ، وقد ورَدَ أنَّ الزانيَ حينَ يَزْنِي يُفَارِقُهُ الإِيمان[1] ، وذلِكَ

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله و سلَّم قال: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

أعظَمُ خِذْلان ، فالحَذَرَ الحَذَرَ حتى عن الخَوضِ والفِكر؛ فإنَّها زِنَا اللِّسانِ والقلبِ كما أَنَّ زِنَا العَينِ النَّظَر.

ولا تشرَبُوا الخَمرَ ؛ فإنَّها تُفقِدُ اللُّب ، وتُسخِطُ الرَّب، تَحمِلُ شارِبَهَا على نِكَاحِ أُمِّه ، وعلى ضَرْبِ أَبيهِ وعَمِّه ، وسَبِّهِ وشَتْمِه ، فهيَ أُمُّ الخبائِثِ بالعَيَان ، ورِجْسٌ سَيِّءٌ مِن الشيطان ، وشاربُها وعاصِرُها وكلُّ مَن أَعَانَ عليها ملعُون ، ومِن كلِّ خيرٍ محرومٌ ومَغبُون ، والمُدمِنُ عليها بكلِّ شرٍّ مقرون ، وحَدُّ شارِبِها أربعونَ جَلْدَة ، وللإِمامِ الزيادةُ إلى ما لا يَبلُغُ حَدَّه.

ألا وإِنَّ هذا التُّنبَاكَ مِن أَسوَءِ القبائِحِ حالا ، وأَوسَعِها في الشَرِّ مجَالا ، يُخَدِّرُ العُقُول ، ويَصُدُّ عن الفضائلِ ويَدعُو إلى الفُضُول ، يَتَوَلَّدُ منه السُّعَالُ والضَّنَى ، ويَجُرُّ إلى صُحبَةِ الأضدادِ مِن القُرَنَاء ، وإلى مجَالِسِ الفُحشِ والخَنَا ، ويَمْلأُ الفَمَ بل سائرَ الجَسَدِ نِتَنا وكفى بِهَذه فِتَنًا ومِحَنا ، فالعاقِلُ لا يَرضَى بهذِهِ البَلايا، ولا يحومُ بِسَاحَاتِ هذهِ الدَّنَايا ، ولو لم يكنْ فيه إلا التشبُّهُ بالأشرَار، لَكَانَ كافيًا في الانزجار ، فحَذَراً _ رحِمَكُم اللهُ _ منه حَذَار [1].

---

[1] هكذا في شرح الخطبة لباسودان المخطوط ، وفي المطبوعة بلفظ : (فاحذروا – رحمكم الله – منه حذرا) والذي في المخطوط أقرب للسجع.

وانتِشَاقُ الـتُّتنبَاكِ مِثلُ شُربِهِ في الذَّم ، بل هو أَقْبَحُ وأَخزَى وأَشْأَم ، إذْ بِهِ يَصْعَدُ نَفَسُهُ إلى الدِّماغِ والراس ، فيكونُ أَبْلغَ في إِثَارَةِ ما فيه مِنَ الخَواصِ الخِسَاس ، على أَنَّهُ شاعَ أَنَّهُ معجُونٌ بالخَمر ، وقد يَغْلُظُ الحالُ إنْ ثَبَتَ هذا الأَمر، لِتَـكرَارِ الحُرمَةِ ومُخَامَرَةِ النَّجَاسَة ، وتَعَدِّيها مِنهُ إلى ما لاقَاهُ ومَاسَّه ، فهو سَعُوطُ الشيطانِ بِلا رَيْب، يُخْرِجُ بِهِ مِن أوليائِهِ كلَّ نَقصٍ وعَيْب ، فاجتَنِبُوا ـ وفَّقَكُمُ اللهُ ـ هذا السَّعُوط ، الموجِبَ لِكُلِّ نُزُولٍ وهُبُوط ، وبُعدٍ عن اللهِ وسُقُوط.

ولا تَأكُلُوا الرِّبا ؛ فإِنَّ رِبْحَهُ خُسرَان ، وزِيَادَتَهُ نُقصان ، وقد نصَّ اللهُ على تحرِيْمِهِ في القرآن ، وآذَنَ

مُرتَـكِبَهُ بالحَربِ العَوان ، وأَخْبَرَ أَنَّهُ مَمْحُوقٌ على مَمَـرِّ الأَزْمَان ، ولَعَنَ آكِلَهُ ومُوكِلَهُ وكاتِبَهُ وشَاهِدَهُ وكلَّ مَنْ عَلَيهِ أَعَان ، كما صَحَّ ذلكَ عَن سَيِّدِ ولَدِ عَدنَان ، فلَيْسَ بعدَ بيَانِ اللهِ ورسولِهِ بَيَان .

هذا والمُشَاهَدَةُ ظاهرةٌ في هلاكِ أهلِ الرِّبا ، وصَيْرُورَتِهم في أسرعِ زمانٍ كالهَبَاء ، وحقِيقَتُهُ : بَيْعُ أَحَدِ النَّقْدَيْنِ أو المطعُومَينِ بِجِنْسِه ، معَ زِيَادَةٍ في أحَدِهِمَا أو تَفَرُّقٍ قَبْلَ تَقَابُضٍ في مَجْلِسِه ، أو بَيعُ أحدِهِما بِغَيْرِ جِنسِهِ بِلا تَقَابُضٍ في الحال ، هذا بَيانُهُ عَلَى سَبيلِ الإِجْمَال .

وهو أبوابٌ جَمَّة ، أَيسَرُهَا مِثلُ أَن يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّه، ومِن جُمْلَةِ أَبْوابِهِ الكَيلُ واللُّجْمَة ، والقَرْضُ بِشَرطِ جَرِّ نَفعٍ ولو كانَ لُقْمَة ، ومِن جُمْلَةِ أَبْوابِهِ مُعَامَلاتٌ مُخْتَرَعَة ، قَبِيحَةٌ مُستَبْشَعَة ، فاجْتَنِبُوها كلَّها فإِنَّها رِبا ، جاءَ التحذيرُ عَنهَا مِن غَيْرِ ما نَبأ.

واجْتَنِبُوا مالَ اليَتِيم ؛ فإِنَّهُ نارٌ بِنَصِّ القُرآنِ الكَرِيم، وأَحْسِنُوا قَضاءَ الغَرِيم ؛ فإِنَّ مَطْلَهُ وَلَيَّهُ ظُلمٌ عَظِيم، والمظالِمَ المظالِم؛ فإِنَّها البَلاءُ المُلازِم ، دِيوانُها لا يُتْرَك، وَتَبِعَتُها لا تُفرَك ، فإِنَّها ظُلُماتٌ لا يَجْلُوهَا إلا القَضاء، أو الإحلالُ مَع صِدقِ الرِّضا ، ولا يَكشِفُهَا إلا الأَدَاء ، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ ، ولن تَستَطِيعُوا إلى ذلِكَ سَبِيلا، ولا تَجِدُوا إِليهِ وُصُولا ، إلا بِتَعَلُّمِ الأَحكَام ، والتَّفَقُّهِ في شَرَائِعِ الإِسلام ، فالعِلمُ هُوَ النُّورُ المُبِين ، والجَهْلُ بِئْسَ القَرِين ، ومَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين ، فَتَعَلَّمُوا وَعَلِّمُوا ، تَسلَمُوا وتَغْنَمُوا ، أقولُ قَولِي هذا وأستَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي ولَكُم ولِجَمِيعِ المُسلِمِينَ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

تـتْـمِيمٌ وإلحَاق يَحُثُّ على مَكَارِمِ الأخلاق

فمِنْ أَهَمِّهَا : الرِّفْقُ والاقتصاد ؛ وهوَ أصلٌ مُهِمٌّ في كلِّ مَا يُطلَبُ ويُعتَاد ، وقُطبٌ يَدورُ عليهِ صَلاحُ المَعَاشِ والمَعَاد ، فما عالَ مَنِ اقْتَصَد ، وهوَ أَحَدُ اليَسَارَينِ هكذا وَرَد ، وهو دُونَ الإِسرافِ وفَوقَ التَّقتِيْر ، وسَبِيلٌ بَينَ الغُلُوِّ والتَّقصِيْر، وهوَ الوَسَطُ المحمودُ مِن كلِّ الأُمُور ، فتَارِكُهُ لا مَحَالَةَ مَلُومٌ مَحْسُور ، كما هُوَ في الكِتَابِ مَسطُور ؛ إِذْ بِهِ تَصفُو القُلُوبُ وتَنشَطُ الأَجسَام ، ويُؤْمَنُ المَلَلُ ويَحْصُلُ الدَّوَام ، ويكونُ الإِحسَانُ في البَدءِ والخِتَام ، ويَتأَتَّى الحَذَرُ مِن الوُقُوعِ في الشُّبهَةِ والحَرَام ؛ ولَـمَّا كان سَبَبَ الراحَةِ والهَنَاء ، ودَفعًا لِكُلِّ

تَعَبٍ وعَنَاء ، حَثَّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ عليهِ في الفَقرِ والغِنَى ، فَعَنهُ عليهِ الصلاةُ والسلام (مَنِ اقْتَصَدَ أَغْنَاهُ اللهُ ، ومَنْ بَذَّرَ أَفْقَرَهُ الله)[1] وكانَ عِبَادُ اللهِ الصالِحُونَ يَقنَعُونَ مِن جَمِيعِ أَمتِعَةِ الدُّنيَا بِالدُّون ، عِلْمًا مِنهُم بِمَا يَتَرَتَّبُ عليهِ مِن الصلاحِ والفلاح، وبِمَا في ضِدِّهِ مِن الحَرَجِ والجُناح ، وتَأَسِّيًا بِمَنْ أَمَرَهُم بِالتَأَسِّي بِهِ ذو الجَلال، وجَعَلَ في اتِّبَاعِهِ الخيْرَ في كلِّ حَال، وكانَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم يَأكُلُ ويَلبَسُ مَا وَجَد ، ولا يَتكَلَّفُ ما فَقَد ، وعَامَّةُ قُوتِهِ الشَّيءُ اليَسِيْر ، مِن التَّمْرِ والشَّعِيْر، يُخبَزُ لَهُ مِن غَيْرِ أَنْ يُنْخَل ، ورُبَّمَا تَأَدَّمَ بِالخَل ، وقال:

---

[1]) رواه البزّار عن طلحة رضي الله عنه .

(نِعْمَ الإِدَامُ الخَلّ)[1] ، وما عَابَ شَيئًا قَطُّ مِن الطَّعَام ، وما شَبِعَ من البُرِّ ثلاثةً مُتَوَالِيةً مِن الأيام ، حتى وافاهُ الحِمَام ، وكانَ يَرقَعُ ثَوبَهُ ويَخْصِفُ نعلَه ، ويَحلِبُ شَاتَهُ ويَخدُمُ أهْلَه ، ويَركَبُ الفَرَسَ والبَعِيْرَ والحِمَارَ والبَغلَة صلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ وسَلَّم.

أيُّها النَّاسُ ؛ قد سَمِعتُمْ مَا قَالَهُ هذا الحَبِيبُ النَّاصِح ، أمْتَعَ اللهُ بِهِ لِنَفعِ الصالِحِ والطالِح ، وعَرَفتُمْ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيهِ مِن المَصَالِح ؛ فإنَّكُم إذا امتَثَلتُم هذا المَقَال ، وأَجرَيْتُمُ الأُمُورَ على هذِهِ الأَحوَال ، وبَذَلتُمُ

[1] أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وهو في صحيح مسلم بلفظ: (نعم الأُدم الخل) .

الجُهدَ بِالدَّعوَةِ إليها بالقَالِ والحَال ، حَصَلَ القَبُولُ والإِقْبَال ، والاسْتِسْلامُ والامتِثَال ، وصَلَحَتْ إذْ ذَاكَ أحوَالُ البِلادِ والعِبَاد ، وأمورُ المَعَاشِ والمَعَاد ؛ فَإِنَّ كُلَّ شَرٍّ وفَسَاد ، وتَمَرُّدٍ وعِنَاد ، سببُهُ الجَهلُ بأَحكَامِ الدِّين ، والمُخَالَفَةُ لِشَرِيعَةِ سَيِّدِ المُرسَلِين ، وقد جَعَلَ اللهُ خَيْرَاتِ الدُّنيا والآخِرَة ، مُندَرِجَةً في أحكَامِ الشَّرِيعَةِ الفَاخِرَة ، فاسْتَمْسِكُوا _رحِمَكُمُ اللهُ_ بِعُروَتِهَا الوَثِيقَة ، واحذَرُوا أَنْ تَزِيغُوا عن تِلكَ الطَّرِيقَة ، واستَرشِدُوا بِمَا أَرْشَدَكُمْ إِلَيهِ صَاحِبُ (النَّصَائِحِ الدِّينِيَّة) و (المَطَالِبِ السَّنِيَّة) و (الحَدِيقَةِ الأَنِيقَة)[1].

---

[1] يُشِيرُ إلى كتاب (النصائح الدينية والوصايا الإيمانية) للإمام

الحداد ، وكتابَيْ (المطالب السنية) و (الحديقة الأنيقة) للشيخ محمد بن عمر بحرق ،، ذَكَـرَ ذلك الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان رحمه الله تعالى في شرحه لهذه الخطبة ، والله أعلم

تمت الخطبة وتتميمها وتقريظها وكلها لسيدنا الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر. نقلناها من مجموع أخيه سيدنا الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر نفعنا الله بهم أجمعين وأفردناها في كتيّب خاص بها لكي يسهل اقتناؤها ونشرها وإشاعتها بين أوساط طلبة العلم وغيرهم مما يؤدي إلى كثرة قراءتها والإطلاع عليها ، والمعين إن شاء الله على تطبيقها والانتفاع بها لتَقَرَّ بذلك عين المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويكون سببا لإدخال السرور على قلبه صلى الله عليه وآله وسلَّم . ويتحقق ما نواه مؤلفها الحبيب طاهر بن حسين وما نواه الحبيب أحمد بن عمر بن سميط والحبيب محمد بن هادي السقاف اللذان يحثَّان على قراءتها ونشرها كما هو موضَّح في مقدمة هذا الكتيّب ، واستعنَّا بشرح الخطبة للشيخ عبدالله بن أحمد باسودان _ وهو مخطوط من مخطوطات مركز النور بتريم _ في توضيح بعض الكلمات والعبارات المشكلة ، وإذا وَجَد القارئ خطأ فهو

ناتج من التقصير الذي عندنا فينبغي له أن يصححه بعد المراجعة والتدقيق والتأكد من صحة المعلومة ، وفي الختام نسأل اللهَ العظيم أن يتقبَّل هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم ويجازي بأفضل الجزاء كل مَن تَعَاوَنَ معنا في كتابتها وضبطها ومراجعتها وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالَمين .

حرر يوم الأربعاء ١٠ ربيع الآخر ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠ فبراير ٢٠١٣م.